الفصل الأول

المسلمون

المسلمون خير الناس على وجه الأرض ومن حق كل صاحب دين أن يعتبر أهل دينه هم خير الناس جميعا على وجه الأرض ، وإلا فما جدوى بقائه متمسكا بهذا الدين؟ ولكن الحكمة المأثورة والشهيرة تقول : « ما أسهل الدعوى وما أعز المعنى » ولذلك وجب على كل صاحب دين وصاحب مذهب على وجه البسيطة أن يكون لديه من الحجج والأسباب والأسانيد ما يجعله يؤمن ويعتقد ويجزم بأن دينه هو خير الأديان جميعا ، وأن أهل دينه هم خير الناس جميعا على وجه الأرض .

وحجة المسلم في ذلك ببساطة شديدة هي أن القرآن الكريم هو معجزة الإسلام والمسلمين .

وهذا القرآن الكريم مضى على نزوله حتى الآن أكثر من ألف وأربعمائة عام أي أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ولم يشبع منه العلماء وله في كل زمان ومكان

القراء الذين يقرؤون والحفظة الذين يحفظون ، والمفسرون الذين يفسرون والعلماء الذين يستخرجون ويستنبطون ويحللون ويشرحون وتم وضع وتأليف مئات الكتب التي تتحدث عن أوجه إعجاز القرآن الكريم وبالذات الإعجاز العلمي في القرآن .

كل هذا في نفس الوقت الذي لم يقدر فيه عربي ولا أعجمي منذ نزول القرآن وحتى الآن على تأليف كتاب واحد يمكن أن يقنعك بأن مؤلف القرآن بشر أو أن محمدا ابن عبد الله أو غيره هو الذي وضع القرآن .

ويدعى كتاب الغرب الذين اعتبروا محمدا مؤلفا للقرآن أنه قد اقتبس القصص القرآني والحكم والأمثال وأكثر الصور البيانية في القرآن من الكتب المقدسة أو شبه المقدسة لدى اليهود والنصارى . ويرد على ذلك أستاذ الفلسفة الدكتور عبد الرحمن بدوى بقوله :

« ولكي نفترض صحة هذا الزعم فلابد أن محمدا كان يعرف العبرية والسيريانية واليونانية ، ولابد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل الأدب التلمودى

والأناجيل المسيحية ومختلف كتب الصلوات وقرارات المجامع الكنسية، وكذلك بعض أعمال الآباء اليونانيين وكتب مختلف الكنائس ـ الملل والنحل المسيحية ، هل يمكن أن يعقل هذا الكلام الشاذ لهؤلاء الكتاب وهو كلام لا برهان عليه » .

ونضيف على كلام أستاذنا الدكتور عبد الرحمن بدوى أستاذ الفلسفة الكبير ونقول : هذا بالنسبة لما ورد من قصص وأحداث في القرآن لها شبيه مع الفارق في كتب العهد القديم والجديد . فماذا عما ورد ذكره في القرآن ولم يرد له ذكر على الإطلاق في كتب اليهود والنصارى وكل الكتب القديمة كأخبار عاد وثمود وقد خلت منها التوراة ، وقصة المائدة وقد خلت منها الأناجيل المصرح بها لديهم وخبر لقمان الحكيم الوارد ذكره في القرآن الكريم في سورة لقمان ولم يرد له ذكر في كتب الأولين . من أين جاء بكل ذلك محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام ومن أخبره به وقصه عليه ؟!

وهذا وذاك بالنسبة لنبأ من قبلكم . فماذا عن خبر ما

بعدكم ؟ أي ما ورد في القرآن من أخبار عن أمور آتية تقع بعد نزول الآيات القرآنية ؟ من أخبر محمدا عليه الصلاة والسلام بها ؟ أم قالها من عند نفسه ووقعت مطابقة بمحض الصدفة ؟!

قال تعالى : ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم:٢، ٣].

وقد كان !!!

وقال تعالى في مشوار يهود ومصير بني إسرائيل : ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ﴾ [الأعراف:١٦٨] .

وقد كان !!!

وقال تعالى : ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ .

[الإسراء:١٠٤]

وقد كان !!!

وقال تعالى : ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ [الإسراء:٧] .

وسوف يكون بإذن الله وعما قريب إن شاء الله .

وكل هذا قليل من كثير وعلى سبيل المثال وليس الحصر بطبيعة الحال .

وأما الإعجاز العلمي في القرآن فالمكابر فيه كناطح صخرة يوما ليوهنها فقد جاءت كل الكشوف والبحوث العلمية الحديثة ومنذ عصر النهضة والى الآن مطابقة ومصدقة لما ورد في القرآن الكريم المنزل في أوائل القرن السابع الميلادي منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، ولم تعد المسألة مجرد الاستشهاد بمثل أو مثلين ، بل أنشئت أخيرا جمعيات للإعجاز العلمي في القرآن وغالبية أعضائها من حملة الدكتوراه الحاصلين على أعلى الشهادات والدرجات العلمية في تخصصاتهم في الطب وعلم الأجنة بالذات وفى الفلك وغزو الفضاء وعلم الجيولوجيا وطبقات الأرض وكروية الأرض وكل مجالات البحث العلمي في شتى العلوم .

وكل جديد في هذا الشأن يقول بصريح العبارة وبمنطق العلم والعقل : من المستحيل أن يكون هذا

الكتاب الكريم من وضع بشر عاش في القرن السادس أو السابع الميلادي في جزيرة العرب .

وكل الكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم امتدت لها في الأزمنة السحيقة يد التحريف والتخريب والدليل على ذلك وعلى سبيل المثال أن ينص في بعضها على وقوع الزنى بين المحارم في بيوت الأنبياء كوقوع الزنى بين نبي الله لوط مع ابنتيه والعياذ بالله ، ووقوعه من نبي الله داود عليه السلام مع امرأة إيليا ومن ابنه مع شقيقته ؟ والعياذ بالله .

أما القرآن فقد بقى محفوظا منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وحتى الآن فقد قال الحق تبارك وتعالى في محكم آياته : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] .

وصدق الله العظيم وتم حفظه فعلا والحمد لله من أي تحريف أو زيادة أو نقصان وما كان هذا ليتأتى أبدا لكتاب من وضع بشر مهما حرص البشر كل البشر على ذلك .

الفرض الأولى بالمجادلة :

أستاذ الفلسفة الدكتور عبد الرحمن بدوى أفحمهم وأسقط حجتهم فيما يزعمونه أو يدعونه من أن محمد بن عبد الله قد اقتبس القصص القرآني والحكم والأمثال وأكثر الصور البيانية في القرآن من الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى وقال : إن هذا الزعم يستلزم بالضرورة أن يكون محمد بن عبد الله على علم بلغات زمانه من عبرية وسيريانية ويونانية وأن تكون لديه مكتبة كبيرة .

والحقيقة لو حسنت النوايا وأخذت القضية على محمل الجد والبحث العلمي الدقيق والأمين لكان الرد أيسر من ذلك بكثير ، كان الرد في كلمتين وكيف يقتبس من كتب الآخرين وهو لا يقرأ ولا يكتب ؟ وينتهي الأمر عند ذلك ولكنهم عند زعمهم هذا لديهم زعم آخر وفرض آخر سابق عليه يفترضونه ولا يحيدون عنه وهو أن محمد بن عبد الله من وجهة نظرهم كان يقرأ

ويكتب وبناء عليه يصبح الأولى بنا مجادلتهم في ذلك أولا لعلهم يرشدون ويهتدون .

إن أعداء رسول الله فيما يزعمونه ويدعونه عليه من علمه بالقراءة والكتابة واقتباسه من الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى إنما يخوضون في ذلك بغير علم ودون أدنى اعتبار للحياة الشخصية لصاحب السيرة .

إن من المعلوم والمشهور عن حياة رسول الله أنه عاش أربعين سنة من عمره لم يقرأ كتابا ولم يخط بيمينه حرفا واحدا ولم يشهد ولم يقل بغير ذلك أحد من أهل الجزيرة وعلى من يدعون غير ذلك إثبات العكس والبينة إن كان لديهم بينة ؟

ونسألهم ببساطة شديدة وبالعقل والمنطق أكان يعرف القراءة والكتابة والاطلاع على كتب الآخرين والاقتباس منها وكتم ذلك سرا أربعين عاما ثم فجأة بدأ التأليف بعد الأربعين من عمره أم شاهت العقول ؟ وعلى قلوب أقفالها ؟

وهذه الحقيقة البسيطة والواضحة وضوح شمس النهار يعرضها عليهم ويجادلهم بها رب العزة في قوله الكريم :

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

[يونس:١٦]

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٨].

كتاب الوحي :

أمر آخر يعلمه بالضرورة أعداء رسول الله ويتجاهلونه عن عمد عند زعمهم معرفة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام بالقراءة والكتابة وذلك هو أمر «كتاب الوحي» .

فمن المعلوم عن حياة رسول الله أنه بعد نزول الوحي كان لديه فريق عمل من صحابته الذين يجيدون القراءة والكتابة فإذا هبط عليه الوحي استدعى من شاء منهم

ليملى عليه ما نزل من آيات ليكتبها . وهذا أمر طبيعي بالنسبة لنا ولكل من يؤمن برسالته ويصدق بأنه الصادق المصدوق وكان لا يقرأ ولا يكتب .

أما بالنسبة لأعدائه وأعداء الإسلام فنسألهم ماذا يقولون لأنفسهم ولنا عن أمر كتاب الوحي وهم يصرون على زعمهم بأنه كان يقرأ ويكتب .

هل يقولون : نعم كان يقرأ ويكتب وأخفى ذلك سرا ، وكان لديه كتب يضطلع عليها في السر ، ولما بدأ التأليف جاء بكتاب الوحي حوله يكتبون له مدعيا على حد زعمهم عدم معرفته بالكتابة وأن الوحي ينزل عليه من السماء إمعانا في تضليل الناس وجذبهم لدعوته وبأن ما جاء به معجزة خارقة .

ونسأل : وهل يستطيع إخفاء هذا السر على الناس وإلى مالا نهاية ولا ينكشف أمره مهما بلغت قدراته البشرية في الكذب والخداع ؟

لقد استمر هذا الأمر ثلاثة وعشرين عاما أي أكثر من

عقدين من الزمان يملى على كتاب وحيه ويخفى قدرته على الكتابة ولا يكتشف أمره أحد ؟ ولم يحدث ولو مرة واحدة أن استدعى أحد كتاب وحيه وأبطأ عليه فراح يخطها بيمينه سهوا وخلسة ورآه بعضهم ؟

ثلاثة وعشرون عاما وهو مستمر في الكذب والتمثيل على الناس ولم يضبطه أحد . هل هذا معقول أم شاهت العقول ؟

صلح الحديبية :

كان يوم الحديبية يوما شديد الوطأة على النبي ومن حوله من المسلمين . كانوا في شوق لدخول مكة وأداء العمرة ومنعوا من ذلك وضاعف من غضبهم ما كان في الصلح من تشدد سهيل بن عمرو وتساهل رسول الله حتى أن عمر بن الخطاب أظهر غضبه وعدم رضاه علانية بقوله لأبى بكر ثم لرسول الله : فعلام نعطى الدنية في ديننا .

ويقول له أبو بكر : يا عمر إلزم غرزك فإني أشهد أنه رسول الله .

وبعد عقد الصلح يأمر رسول الله الناس بالنحر والحلق فيتردد القوم فيدخل رسول الله شاكيا ذلك لأم المؤمنين أم سلمة فتشير عليه بأن يبدأ بنفسه فلما رأى الناس صنيعه تواثبوا ينحرون ويحلقون .

وفى هذا الجو المشحون وأثناء كتبة العقد وكان الكاتب عليا بن أبى طالب ﷺ وكرم الله وجهه وكان مما أملى عليه رسول الله قوله : « **أكتب ، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو** » ، فقال سهيل : أمسك ، لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن أكتب اسمك واسم أبيك ، فقال رسول الله لعلى : « **امحها يا على** » فقال على : والله لا أمحاها ، فقال له رسول الله بغضب : « **أرني مكانها يا على** » أي يريد رسول الله أن يشطبها بنفسه ولكنه لا يعرف مكانها من الصحيفة فهو كما نعلم لا يقرأ ولا يكتب .

واسأل بالله عليك السفهاء ممن يزعمون معرفة محمد بن عبد الله بالقراءة والكتابة ويكذب على قومه : أفي مثل هذا الموقف العصيب والجو المشحون يستمر التمثيل ولا

تمتد يده مباشرة إلى مكان الكلمة بعفوية وتلقائية ؟

عتاب ربه له :

ونسأل الذين يزعمون بأن محمد بن عبد الله هو مؤلف القرآن ماذا يقولون وبماذا يفسرون وجود عشرات الآيات بالقرآن يعاتب فيها رب العزة نبيه في أدق التفاصيل والأسرار من حياته والتي لو كان المؤلف بشرا لأخفاها بالضرورة ولم يظهرها للناس بأي حال من الأحوال .

ومن ذلك على سبيل المثال وليس الحصر :

قال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ .

[الأحزاب:٣٧]

وعن عائشة < قالت عن هذه الآية : لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية .

وقال تعالى في سورة الكهف : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ [الكهف:٢٣] .

قال العلماء : عاتبه الله تعالى كما ورد في تفسير القرطبي على قوله للكفار حين سألوه عن الروح والفتية وذي القرنين غدا أخبركم بجواب أسئلتكم ولم يستثن في ذلك .

وفى سورة عبس قال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس:٨ ـ ١٠] .

وورد في التفاسير : أن الآية عتاب من الله لنبيه ﷺ في إعراضه وتوليه عن عبد الله بن أم مكتوم وقال الثوري : فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول : « **مرحبا بمن عاتبني فيه ربى** » .

وفى سورة الأنفال قال تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

[الأنفال:٦٧]

وورد في تفسير القرطبي أن النبي ﷺ لم يأمر باستبقاء الرجال ولا أراد قط عرض الدنيا وإنما فعله جمهور

مباشري الحرب فقد قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : « **ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟** » .

فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية ، وقال عمر : قلت : لا والله يا رسول الله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكنى أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم .

فهوى رسول الله ما قال أبو بكر ، وفى الغد جاء عمر لرسول الله فرآه هو وأبو بكر قاعدين يبكيان . أي بعد نزول الآية وعتاب رب العزة لنبيه وللمؤمنين .

ونسأل السفهاء من أعداء رسول الله لو أن محمد بن عبد الله هو الذي ألف القرآن على حد زعمهم فهل كان يكتب عن نفسه أنه أخذ الأسرى وأنه ومن معه ممن يريدون عرض الدنيا ثم يقول ما كان له أن يفعل ذلك ثم يجلس ليبكى ويبكى معه أبو بكر ؟

هرقل وأبو سفيان :

هناك من الأعداء السفهاء والعقلاء ، ومن الأعداء السفهاء هؤلاء الذين يزعمون أن محمد بن عبد الله هو

الذي ألف القرآن ونسبه كذبا إلى ربه وادعى النبوة .

ومن الأعداء العقلاء هناك على سبيل المثال هرقل ففي اللقاء الذي تم بينه وبين أبى سفيان وفى الحوار الذي دار بينهما راح هرقل يوجه إليه أسئلة يستفسر فيها عن المبعوث أو النبي الجديد الذي ظهر لديهم في الجزيرة ومن الأسئلة التي طرحها هرقل سأله إن كانوا قد جربوا عليه الكذب قبل بعثته فرد أبو سفيان بالنفي طبعا ، فقد كان معروفا لديهم بالصادق الأمين فرد هرقل عليه بمنطق العقل والحكمة :

ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله .

خلاصة الأمر : معجزة الإسلام والمسلمين القرآن الكريم ، ولم ولن يقدر بشر على تأليف كتاب يمكن أن يقنعك بأن القرآن من وضع بشر أو من تأليف محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام .